بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي

المؤتمر العام الرابع عشر

٢٢- ٢٥ شعبان ١٤٢٨هـ/ ٤- ٧ أيلول ٢٠٠٧م

التربية القرآنية
والإشباع المتوازن للميول الإنسانية

آية الله محمد علي التسخيري

عمّان - المملكة الأردنية الهاشمية

التربية القرآنية والإشباع المتوازن للميول الإنسانية

آية الله محمد علي التسخيري

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد البشرية محمد و آله الطاهرين وصحبه الطيبين وبعد ،

فإننا نرصد أمامنا في هذا الموضوع أبعاداً واسعة نحاول تلخيص بعضها في نقاط:

النقطة الأولى: الإسلام وتربية الشخصية الإنسانية:

تشكل العاطفة جزءاً مهماً من الشخصية الإنسانية، والواقعية وهي من أهم صفات الإسلام العامة تقتضي الاهتمام بها ، وترشيدها لتتحقق الثمار المرجوة. وعندما نحلل الشخصية الإنسانية ومكوناتها نجد الإمام علياً (ع) في مجال وصفه للانسجام بين مكونات الشخصية الإ نسانية، وهي (العقل والفكر والعاطفة والحو اس والسلوك) يقول: «العقول أئمة الأفكار ، والأ فكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الجوارح»[1] ليكشف بدقة عن جذور السلوك الإنساني الواعي .

والإسلام يعمل تماما على تربية الإنسان بتربية كل هذه المكونات فهو:

أ – يقوم بتربية عنصر التعقل الغريزي في الإنسا ن فيدفعه للتأمل والتد بر والتعقل والبرهنة والنظر وأمثال ذلك .

ب – يؤكد على الأسلوب المنطقي للعملية العقلية مبتعد اً بها عن ما يخلّ بالنتائج من أ ساليب تتنافى والحوار السليم .

[1] بحار الأنوار للمجلسي ج١ ، ص ٩٨ . غريب الحديث للهروي ج ١، ص ٢٤١ .

ج –ربّي العنصر العاطفي ويشبعه بحب أصيل لأروع محبوب وهو (الله) – تعالى – الجامع لكل ما ترغب النفس فيه من كمال مطلق، فتسمو العاطفة غاية السمو.

د – يعطي الشريعة الغراء الفطرية التي تنظم السلوك وترسم خارطة طريق السعادة.

هـ –يربي الإرادة القوية الواعية التي تبقى أسمى من كل دافع عاطفي مهما كان متأججاً للتأكد من كون العاطفة تسير في الاتجاه الصحيح أم لا، وتحتفظ بحريتها في توجيه السلوك. وبهذه الحرية تحصل المسؤولية. فلسنا مع من يصف (الإرادة) بـ(العاطفة المتأججة) وإلا لوقعنا في (الجبرية) وهو الأمر المرفوض وجداناً وشرعاً. ولكن يبقى للعواطف دورها المؤثر على الإرادة والسلوك. ومن هنا جاء التأكيد الإسلامي على هذه المسألة بشتى الأساليب ومنها:

١ – الأساليب التوجيهية المباشرة التي تحذّر من الأهواء الجامحة بل والطاغية، فيقول القرآن الكريم: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

٢ –الأساليب غير المباشرة باستخدام الأمثال والقصص التي تمجّد الذين سيطروا على دوافعهم وأهوائهم كالأنبياء والصالحين.

٣ –تقديم النماذج العملية المتمثلة في سلوك النبي ﷺ، والقادة الذين رباهم من أهل البيت الطاهرين(ع) والصحابة الميامين رضي الله عنهم.

٤ – دعوة المسلمين بالارتفاع بجبهم إلى أسمى المستويات وهي حب الله وحب رسوله وحب أهل بيته الطاهرين ولصحابه المخلصين، وحينئذ تنتظم العواطف في منظومة رائعة منسجمة مع الفكر، وخلاقة للعمل الصالح.

وتتم هذه العملية التربوية للعواطف بعد تأصيل وتعميق الإيمان بالله الجامع لكل صفات الكمال والجلال، وربط الإنسان به إلى أقصى حدٍ من جهة، وتربية تصوّره عن الكون والحياة بتأكيد

قيامهما على أصول أهمها (الحق، والعدل، والحب، والرحمة) ويبقى الفكر والعاطفة يعيشان في هذه الأجواء ويكملان فيها . وتأتي سيرة الرسول وسنّته لتؤصّل هذه المعاني، وتقدم التجسيد الحسي الأمثل لها .

النقطة الثانية: الحب نعمة كبرى ومنزلق خطير .

يذكر الأستاذ المفكر المطهري أن الأدب الصوفي القديم يزخر بالتعبير عن الحب بـ (الأكسير) ويعني (ذلك الجوهر الذي يصهر ويخلط ويكمل الأشياء فهو بذلك يبدل النحاس إلى ذهب) ، والحب يحمل هذه الصفات فهو يحرق، وهو يحقق التلاحم بما يؤدي إلى التكامل ، ولكن وجه الشبه هنا هو الصفة الثالثة من هذا المصطلح .

فالحب هو الذي يجعل القلب قلباً وإلا فهو ماء وطين، وهو الذي يحيل الحياة من حالة الخمود والانطواء والذاتية إلى حالة جديدة تزخر بالحيوية والنشاط والذكاء والبهجة والعطاء، ويفجر الطاقات الكامنة ويثيرها لتبدو على مسار الحياة، وهو الذي يصنع الشعراء والفنانين والعباقرة، ويكمل النفس وينمي المشاعر ويقوي الهمم لتتصاعد إلى العلاء، إنه الذي ينقي الروح من كل ما امتزج بها من ضعف وداء ويطهرها من الأدران،ويسير بها نحو الكمال ، رغم أنه يترك آثاراً معاكسة على البدن .[1]

وهذا يعني أن الحب (وهو ميل نفسي غريزي ينتظر ما يتعلق به (المحبوب) الذي يحقق له ما يريده فيه من انسجام مع الفطرة، وإشباع للحاجة، وتبادل للمحبة، وتنمية لها باستمرار) طاقة فطرية رائعة أودعها الله في الخلقة الإنسانية لتقوده إلى الكمال .ولكن هذه الطاقة تحتاج إلى تربية مستمرة وتذكير مستدام بالحقيقة، وشد بمنبع الطاقة لئلا تنحرف عن الهدف المنشود ، وتتحول إلى ذوبان مذل وهبوط مسف، يختزل الحياة المتعالية في الجنون والضياع .

(١) عوامل الجذب والدفع في شخصية الإمام للشهيد المطهري ص ٤٦ (بتلخيص) .

والحب؛ العاطفة المتأججة لها أعظم الأثر في الإرادة الإنسانية، وقد تصل إلى الحد الأعمى، بحيث تذوب (الإرادة) أمامها . وهذا ما دفع بعض علماء الأصول حينما أراد أن يحلل الإرادة وجذورها للقول بأن الإرادة هي (شوق مؤكد) . ولكنه تحليل مفرط في تأثير العاطفة، وذلك لأن الإرادة الإنسانية مهما كان التأثير عليها قوياً تمتلك صفة الحرية والمقاومة مستمدة من إرشادات العقل ما تستطيع به أن تعدل تأثيرات العاطفة . وبالتالي يبقى مجال المسؤولية واسعاً وإلا وقعنا في (الجبرية) وهي ما يرفضها الوجدان نعم إذا كانت الضغوط إلى الحد الذي يمحوا الإرادة فقدت المسؤولية بلا ريب .

وعلى أي حال؛ فإن نعمة الحب هي من أعظم النعم الإلهية؛ إن الحب يشد الإنسان بالحقيقة المطلقة، ويخرجه من سجن ذاته، وما لم يخرج الإنسان من هذا السجن فإنه سيبقى قلقاً ضعيفاً خائفاً بخيلاً خائر القوى، أما إذا أحب فإنه سيلقى السكينة ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الـــــروم: ٢١] . وسيعرف معنى التضحية والإيثار، والكرم، والعزيمة، والانسجام مع الآخر، والبهجة بالحياة، وتهذيب النفس، والارتفاع بها إلى مستوى الإبداع .

ولكن هذه النعمة إذا لم تتداركها النعمة الإلهية قد تهبط بالإنسان إلى مكان سحيق .

النقطة الثالثة: النظام التربوي يشبع الغرائز والميول إشباعاً متوازناً

إن التناسق التام بين أنواع الهداية في سبيل إيصال الإنسان إلى هدفه، هو من أجمل ما يلاحظه المتأمل في تركيب الشخصية الإنسانية، وهنا تشكل الغرائز الدوافع الرئيسة للعمل، أما العقل والإرادة فإنهما يشكلان الضابط لعملها، ويبقى الوحي هو المخطِّط المنمّي للعقل . . وهو يعتمد الخطين التاليين:

الخط الأول – عدم الكبت:

إن الإسلام – على العكس من سائر المبادئ المادية (كالماركسية) التي تكبت بعض الغرائز – لا يرضى بالكبت الغريزي، نظراً لواقعيته، فهو يؤكّد على أنها كلها وضعت في الكيان الإنساني لصالحه، وأن ليس في الوجود العام ككل، والوجود الإنساني بالخصوص، شيء غير معدّ لشأنه، ولذا فلامعنى للكبت الذي لا يؤدّي إلا إلى اختلال التوازن الحياتي المطلوب في عمل الغرائز، وضياع التناسق الضروري لمسيرة الإنسان.

الخط الثاني – تنمية الاستعدادات المعنوية، وتركيز الحب على مجالاته الأصيلة، وتهذيب الغرائز الطاغية:

فإن من الاستعدادات النفسية الأصيلة ما يحتاج إلى تنمية منظَّمة يتجلَّى بشكل أكثر وضوحاً في حياة الإنسان، ومنها ما يحتاج إلى تهذيب لأنه ينمو بصورة طبيعية. فلنلاحظ أهم مساحات هذه الاستعدادات وعلاج الإسلام لها، لنرى ما الذي فعله الإسلام لتنمية هذه الأمور أو تهذيبها:

١ – الارتباط بالكامل المطلق والتوجه إليه:

وهو استعداد إنساني عبّر عن نفسه بتعبيرات مختلفة عبر التاريخ، واختلفت تطبيقاته وتصورات محل الكمال فيه. وكان أهم انحراف فيما ذكرناه في النقطة الأولى وهو تحويل المؤثرات النسبية إلى مطلقات من جميع الوجوه وتقديم فروض الطاعة والاحترام لها، وأمثلتها: الآباء، والقبيلة، والطبيعة، والمادة، والأجرام السماوية، والعلم والتجربة، والحاكم المستبد، وغيرها..

وأكبر ضرر لهذه المطلقات الوهمية هي كونها تشكّل قيداً على فكر الإنسان وأنها تعيق مسيرة تقدُّمه الحضاري، وتقوده نحو الضلال: «فكلُّ محدود ونسبي إذا نسج الإنسان منه في مرحلة ما مطلقاً يرتبط به على هذا الأساس يصبح في مرحلة رشد ذهني جديد قيداً على الذهن الذي صنعه، بحكم كونه محدوداً ونسبياً»[1].

(١) الفتاوى الواضحة: نظام العبادات، ص ٧٠٨، ط ٧.

ومن هنا فقد كان العلاج الإسلامي الواقعي هو تحويل الأنظار والأفهام عن هذه الآلهة الوهميّة المقيّدة للذهن، المحدّدة للأفق والتي لا تملأ وجود الإنسان وتطلعاته، والتركيز على الموجود المطلق الحق سبحانه الذي لا تحدُّه أية حدود، والذي لم يكن من نسيج مرحلة من مراحل الذهن الإنساني، ليصبح في مرحلة رشد ذهني جديد قيداً على الذهن الذي صنعه، ولم يكن وليد حاجة محدَّدة لفرد أو فئة، ليتحوّل بانتصابه مطلقاً إلى سلاح في يد الفرد والفئة لضمان استمرار مصالحه غير المشروعة. فالله سبحانه وتعالى مطلق لا حدود له، ويستوعب بصفاته الثبوتية كل المثل العليا للإنسان الخليفة على الأرض، من إدراك، وعلم وقدرة، وعدل، وغنى، وهذا يعني أن الطريق إلى الله لا حدّ له، فالسير نحوه يفرض التحرك باستمرار وتدرُّج نسبي نحو المطلق بدون توقف: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق:٦].

وإذا كان الأمر كذلك فالتعلُّق الحقيقي يجب أن يكون بالله تعالى، والحب الأصيل للكمال يجب أن يتركَّز في آخر هدف له وهو الله، ليكون الانتساب إلى الله والإيمان هو معيار الحب، وليقوم حبٌّ متعادل قويٌّ بين الله وعبده: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٥٤]. ﴿ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وهذا الحب إذا أريد له أن يكون واقعياً وجب أن يعلو على كل حب:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَـٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ

ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٣-٢٤] .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما»[١] .

وقال ﷺ في دعائه: «اللهم ارزقني حبَّك وحبَّ من يحبُّك وحبَّ ما يقرّ بني إلى حبّك، واجعل حبَّك أحبَّ إليَّ من الماء البارد» .

ولتوفير مقدمات هذا الحبّ يذكّر القرآن بنعم الله التي لا تحصى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

وكلَّما ازداد وعي الإنسان بنعم الله، بل وعلِمَ أنَّ هذا الكون كلَّه خُلِقَ على أساس الرحمة الإلهية الواسعة؛ اتقدت في نفسه شعلة العواطف الواعية تجاه الله تعالى، وذاب كلُّ شيء في قبال حبِّ الله، وراح في مناجاة لحبيبه ودعاء ولهان، ونسي كلَّ ألم في سبيل تحقيق رضاه .

يقول أمير المؤمنين (ع) : «لقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضيّاً على اللقم، وصبراً على الألم، وجداً في جهاد العدو» [٢] .

ويقول في خطبة المتقين: «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم»[٣] .

وبذلك يبلغ الحبُّ أعلى مستواه، ويرتفع عن مستواه البهيمي .

وعن الإمام الصادق (ع) : قال رسول الله ﷺ لأصحابه أيُّ عرى الإيمان أوثق ؟ فقالوا : الله

[١] الأخلاق، عبد الله شبر، ص ٢٨٤ – ٢٨٦، منشورات بصيرتي، قم – إيران .

[٢] نهج البلاغة، صبحي الصالح، ط ٥٦، ص ٩١ – ٩٢ .

[٣] المصدر السابق، ط ١٩٣، ص ٣٠٣ .

ورسوله أعلم، وقال بعضهم : الجهاد . فقال رسول الله ﷺ لكل ما قلتم فضل، وليس به ولكن : أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله، وتولي أولياء الله والتبري من أعداء الله[٣] .

ولعل كون الحب والبغض من أوثق عرى الإيمان لأنهما يعنيان انغراس الإيمان في الشعور والجوارح وتحوّله إلى عواطف مؤمنة قوية دافعة، وهو أقوى مراتب الإيمان: قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ١٦] .

والمؤمن الذي لا يمتلك عاطفة متحرّكة على ضوء الوحي قد لا يمتلك حتى صفة الإيمان: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا تَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [سورة الماعون] .

وتشترك الأنظمة الإسلامية المختلفة في خلق التأكيد المجسّد لهذه الرابطة القوية، ومنها نظام العبادات الذي يقوم بدور أساسي كبير بواجباته ومستحباته، ومنها النظام التربوي والأخلاقي . وكلها تحقّق التوازن في مجال انعكاس هذه الرابطة على عمل الإنسان، فتشيع فيه احتياجه للدين، وتعلّمه كيفية التعبير عن تدينه، دون أن يبتلى بما سيأتي من أخطار .

هكذا ينمو الحب الإلهي إلى أروع الدرجات . . إلاّ أنه يبقى هناك خطر انقلاب هذا الحب على هدفه . . فإن أهم أخطار الانقلاب التي أصيب بها هي:

١. الرهبنة والانعزال والبعد عن الواقع الخارجي المعاش .

[٣] أصول الكافي، ج ٢، ص ١٢٦ .

٢- الاغترار بهذا الحب، وادّعاء كفاية الجنبة العاطفية فيه.

٣- العنصرية والقومية فيه.

وكل من هذه الأمور يؤدّي إلى عدم قيام النظام العالمي الاجتماعي للإسلام، وإلى ضياع طاقات المسيرة الإنسانية وتفكُّك قواها وروابطها الاجتماعية، والقضاء با لتالي على الأهداف الكبرى.

ولذلك فقد نبه الإسلام المسلم إلى الواقع الذي يجب أن يكون عليه الحب، فأعطى النماذج في أناس قلدة يمثلون قمة الحبّ الإلهي الواقعي النافذ إلى المشاعر، وقدوة للمسلمين في هذا السبيل : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقيل لهم: إنَّ اتباعهم هو ملاك الحب الحقيقي: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]. ومن ثم فقد جاءت آيات توضّح بالتفصيل من هم أولئك الذين يحبون الله حقيقة فيحبُّهم الله تعالى، وهي تؤكّد على: أنَّ الله يحبُّ التوابين، والمتطهرين، والمتقين، والمحسنين، والصابرين، والمقسطين، والذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص على طاعته وطاعة رسوله، وأنه تعالى: لا يحب المعتدين والمفسدين، والآثمين، والظالمين، وكل مختال فخور، والخائنين، و لا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلِمَ، ولا يحبُّ المسرفين، والمستكبرين.

فإذا تحقق العنوان المحبوب فالحبُّ المتبادل م توقع وإلاّ فلا، وهكذا لا ينسجم ادّعاء الحبّ مع العناوين المبغوضة.

ومما نسب إلى الإمام الصادق(ع):

تَعصي الإله وأنت تُظهر حبَّه ... هذا لعمرك في الفعال بديعُ

لو كان حبُّك صادقاً لأطعته ... إن المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

هذا وقد نقل القرآن دعوى العنصرية في الحُبِّ وأنَّ الحبَّ الإلهي مخصوص بطائفة بشرية دون

غيرها وردّها بشدة: ﴿ قُل يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٦-٧].

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٨].

وجاءت آيات لتؤكّد أنَّ الشريعة مفتوحة للجميع، وأن لا تمايز بين أحد وآخر إلاّ بالتقوى والعلم. ولم يقع هناك تمايز تشريعي بين طائفة وطائفة إلاّ فيما كان هناك غرض تربوي واجتماعي.

حبُّ الرسول وأهل البيت والصحابة ملازمٌ لحبّ الله تعالى:

ففي طول حبّ الله تعالى يُركّز الإسلام على حبّ الرسول ﷺ والأئمة(ع) والصحابة الأخيار وباقي المؤمنين. وينمّي عوامل هذا الحب، حتى أن الرسول لا يسأل أجراً للرسالة إلا حبَّ أهل بيته(ع) وهذا الأجر ليس إلاّ لصالح الأمة، لأنه شدَّها بقيادتها الحكيمة . ونحسب أننا في غنى عن ذكر النصوص الواردة في هذا السبيل لوضوحها وضرورتها.

٢- الميول بالنسبة لما سوى الله:

إنَّ الإطار الذي يؤطّر هذه الميول هو إطار (رضا الله) و(الحبُّ في الله). وهذا الإطار يضمن لنا إشباعاً متوازناً لهذه الغرائز منسجماً مع الهدف، وهذا الإشباع المتوازن يتجلّى بوضوح عندما ندرس كل ميل وهذا ما لا يتسنى لنا ولكننا سنركز على مسألة حب الذات فقط.

حب الذات:

ويعبر عنها بـ (أمّ الغرائز) باعتبار أنها تستوعب دوافع الغرائز الأخرى كلها، إلا أنه قد يدّعى

أنها ليست بهذا المستوى من المرجعية التامة، فهناك غرائز أصيلة لا تقوم على أساس حبّ الذات.

وعلى أيّ حال، فإنّها غريزة أصيلة كبرى، ولا يمكن للمبدأ أن يكون واقعياً إذا أنكرها أو أنكر آثارها في حياة الإنسان.

وقد أكّدت (الماركسية) على أنها من نتائج (الوضع البرجوازي) وأنه يمكن القضاء عليها بإقامة نظام حديدي من جهة، وتحريم (الملكية الخاصة) من جهة أخرى.

فكانت بذلك مبدأ غير واقعي وغير منطقي في نظرته إلى الإنسان . كما كانت من قبل مبدأ مشككاً في مجال معرفة الواقع حقيقة.

وهذه الغريزة أمر ينمو بشكل طبيعي جداً وتظهر أعراضها في تصرُّفات الحيوان قبل الإنسان وفي أولى تصرفات الإنسان، فتستوعب الأعمَّ الأغلب من تصرفاته حتى بعض تلك التي يبدو أنها مناقضة لها.

ولا ريب في كونها ضرورية جداً لبقاء النوع الإنساني، وذلك لكي يستطاع إيصال الإنسان إلى هدفه المنشود.

ولكن قد تطغى هذه الغريزة فتتجاوز الحدَّ المطلوب، ويعدُّ الإنسان من نفسه إلهاً ويرى بعد ذلك أنّ كلَّ شيء خارج حدود الذات أمر غير طبيعي بل هو غريب عنها.

ومن هنا اتهم المادّيون الإلهيين بأنهم اغتربوا عن ذواتهم إذ وضعوا كلَّ ما لديهم من قوىً وإمكانات في موجودات خارجة عن الذات، ثم قدَّموا لها الطاعة والولاء . وعليه فالمادية في نظرهم: رجوع الإنسان إلى ذاته وحصر القوى فيها.

وكانت نتيجة هذه الدعوى: تأليه الإنسان وقواه، حتى بلغ الأمر ببعض الفلاسفة أن يعلن ديناً إلههُ الإنسان، وحتى جاءت الوجودية لتقدس الإنسان.

ومع التجاوز عن كل ما في هذه المبادئ المادية من ضعف نقول : إن هذه المبادئ حَصرت

الإنسان في ذاته، وفصلته عن الوجود الأكبر، وتجاوزت به حدوده ونسيت ضعفه وإمكانه، وسلبته أمنه عندما وكلته إلى نفسه ومن هنا نجد الوجودية تنساق بشكل طبيعي إلى القلق والهذيان والعبث والقرف وغيره وهكذا كان كل هذا الانحراف تعبيراً واضحاً عن طغيان (غريزة حبّ الذات) على سائر الغرائز وعلى الحقيقة نفسها ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١].

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٧١].

وهكذا قدر لهذه الغريزة أن تكون موضع جدل عميق جداً وأخذ ورد، فتارة تشبع حتى تطغى لأخرى تكبت حتى لا تجد لها متنفساً وكلا الحالين أمر لا ينسجم مع المسيرة المتوازنة للإنسان وذلك الإشباع وهذا الكبت نشآ في الواقع من وجهتي نظر مختلفتين في مجال حل المشكلة الاجتماعية الإنسانية، وهي مشكلة معرفة (النظام الأصلح) و تطبيقه.

وكان أهمّ ما يواجه الإنسان هذا التعارض الذي يظهر بصورة طبيعية بين المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية، فلابد أن تتنحى إحداهما حتى يسير الركب، ومن هنا كان البعض من أنصار كبت المصالح الفردية وتقديم المجتمع، في حين فضّل الآخرُ تقديمَ المصالح الفردية على المصالح الاجتماعية وكبت متطلبات المجتمع.

وقد رفض الإسلام كلتا النظريتين، مؤكداً، على أنهما توقعان الاختلال في مسيرة الإنسانية الصاعدة ومركزاً على حل التعارض بأفضل حلٍّ متصوّر، وذلك عبر الخطوات التالية:

أولاً لابدأ قبل كل شيء بتعيين مركز الإنسان من الكون . وقد مرَّ بعض الحديث في هذا

الجانب، وخلاصته: إن الإنسان موجود خلقه الله الكامل المطلق خالق الكون، ذو القدرة، والعلم، والحياة المطلقة، لأجل أن يعمر الأرض من خلال ممارسة حياة اجتماعية طويلة، ووضع له تشريعاً في سبيل ذلك.

ثانياً: وعلى ضوء الخطوة الأولى يُنمّي في المسلم حبَّ الله تعالى حتى يصل إلى الحد الذي يضحي فيه بذاته في سبيله تعالى، كما مرَّ.

ثالثاً: ثم يربط بين التقرُّب إلى الله والحياة الاجتماعية، ليكون سبيل الله يعني سبيل العمل لصالح الرسالة، وتحقيق رضا الله في الأرض ونشر تعاليمه بين الناس، وفي خدمة المؤمنين ورفع أدوائهم ونقائصهم، وإشاعة الأخلاق الحسنة بالإضافة إلى التكامل الفردي:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٨].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وهكذا يرتبط سبيل الله بخدمة المجتمع خدمة يأذن بها الله ويراها لصالحه.

رابعاً: وعلى ضوء الخطوة الثالثة، يبدأ الإسلام بتربية أخلاقية طويلة المدى، من خلال نظم عديدة (كنظام العبادات، والنظام التربوي والأخلاقي، ونظام الأسرة وغيرها) كلها تؤكد على تنمية الحسّ الاجتماعي فيه، وتعمل على تربية الوجدان والضمير الأخلاقي في الإنسان، وتركّز على أن يرتبط بعلاقات مودة كبرى مع مجتمعه المؤمن خاصة ومع مجتمعه الإنساني عامة.

خامساً: وبعد هذا يعمل على أن يذكر الإنسان بالمنابع الكبرى التي تنفذ عبرها غريزة حبّ الذات فتنمّي نفسها وتطغى لتنتهي بتلك الصور . وكمثل لذلك: نلاحظ موقف الإسلام من كل من عنصري الغفلة والتكبُّر، وهما منفذان كبيران للذاتية.

سادساً مع كل هذا يأتي دور أصيل يشكل نقطة الحل الرئيسة، وهو الدور الذي يجعل المسألة الفردية والمسألة الاجتماعية أمراً واحداً، وهي تلك المعجزة التي عجزت عنها جميع الأنظمة الوضعية؛ وذلك بتركيز الاعتقاد بالآخرة، وإعطاء صورة واضحة عنها . وحينذاك، فالذات الإنسانية واحدة في كلا الحالين جميعاً، وعندها يكون التنازل البسيط المؤقت في هذه الحياة القصيرة عن بعض اللذات لصالح المجتمع الذي يحبه، ولصالح رقي الإنسانية وهو عضو فيها، ويكون هذا التنازل موجباً لإشباع النفس والذات عينها بأسمى أنواع الإشباع بدخولها جنّة الخلد والرضا، وخلاصها من عذاب الخلد في النيران.

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٠- ١٢١].

وقد كانت الآيات الشريفة دقيقة غاية الدقة عندما ضربت على وتر إشباع الذات إشباعاً خالداً في قوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧١].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصلت: ٣١].

﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

وهكذا يتحول العمل الصالح لصالح المجتمع؛ لصالح النفس في الوقت نفسه:

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

ويكون المتاع الدنيوي المنحرف ظلماً وبغياً على النفس:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [يونس: ٢٣].

وهكذا﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٩].

﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢].

فالنفس الإنسانية تباع في الدين لله وللرسول ﷺ وللأئمة(ع)وللمؤمنين ليعوّض عنها بالجنة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٦].

وخاطب الرسول ﷺ المؤمنين قائلاً: «ألست أولى بكم من أنفسكم ؟» قالوا: بلى، فقال:

« فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه»[1] .

وقد جاء في (نهج البلاغة) قول أمير المؤمنين(ع) :

«إنَّه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها» [2] .

وما أكثر الآيات والأحاديث الواردة في هذا المعنى، وكلها تنتج هذا الحل الوحيد للمشكلة الاجتماعية المستعصية. فلا يبقى – والحال هذه – إلاّ طريق الإسلام المتوازن تماما فحسب.

وهكذا رأينا :

أنَّ غريزة حبِّ الذات غريزة طبيعية تنمو بشكل طبيعي ولا تحتاج إلى تربية منمية، وإنما تحتاج إلى تهذيب وتوجيه، وتحديد مصاديق الذات ومداها، وتنبيه على سبيل إشباع اللذات الإنسانية، وإن كان شعور النفس ببعض اللذات المعنوية يحتاج إلى تربية عملية صحيحة ليكون إشباعها إشباعاً لهذه الغريزة في الوقت نفسه.

النقطة الرابعة : الإرادة مظهر الذات:

وتشكّل الإرادة الإنسانية المظهر الأساس للذات الإنسانية، وقوتها تعبر عن قوتها، والعكس بالعكس. كذلك تشكل الإرادة حركة نفسية تتبع التعقل، فالعلاقة بينهما علاقة قويَّة جداً، ومن هنا فكلما كان التعقل قوياً ورفيعاً سارت الإرادة معه في تساميه، وإذا هبط عنصر التعقل توقعنا للإرادة النزول تدريجياً . وكذلك نقول إن ضعف الإرادة وعدم تقويتها ربما يسري إلى ضعف التعقل . . فإذا كانت التربية واقعية نظرت للأمرين المتفاعلين معاً، ولم تهمل أحدهما على حساب الآخر .

وعليه فما هو موقف الإسلام من الإرادة نفسها ؟

[1] حديث الغدير .

[2] الكلمات القصار/ ٤٥٦ .

إن الإسلام يفرّق بين الإرادة الواعية التي يوجّهها العقل، والإرادة الطاغية العنود، فيؤكّد على الأولى ويرفض الثانية بنفس المستوى الذي يرفض فيه حالات موت الإرادة وضعفها. فلنستعرض حالات الإرادة في الإنسان، وكيف عالج الإسلام الحالات المرفوضة منها.

الحالة الأولى: ضعف الإرادة

وهي في الواقع ونظر الإسلام الواقعي حالة غير طبيعية، وفق ما عرفناه من دور لها سابقاً وهذه الحالة غير الطبيعية تنتج فقدان الشخصية الإنسانية أو ضعفها، وإذا فقدت الشخصية الإنسانية فقد الإنسان إمكان اتخاذ شخصية أخرى متفرعة عليها، كالشخصية الإسلامية، ذلك أن الإرادة هي أحد الركنين المقوّمين لها.

والركن الثاني الذي يجب أن تعمل في إطاره الإرادة هو التعقل وهما معاً يشكّلان الشخصية الإنسانية المميزة عن الحيوان.

كما ينتج عن ذلك بعض أنماط التقليد في العقيدة، حيث لا يمتلك الإنسان مبرراً ودافعاً لأن يتخذ موقفاً محدّداً من الواقع — ومن ضمنه العقيدة الصحيحة — وإنما يلجأ إلى عقائد جاهزة. والأغلب أن تكون هذه العقائد الجاهزة هي العقائد الموروثة من القبيلة أو البيئة ليعتنقها مشبعاً بها بعض متطلبات نفسه. وحتى لو أحسَّ بضرورة تغيير ما يعيشه من ظروف، إلاّ أنه لا يمتلك المقوّمات التي تسمو به على واقعه المعاش ليغيره نظراً للتهافت في أركان شخصيته. وأقلُّ ما تعني هذه الحالة أن تستهلك المسيرة الإنسانية عناصر قوتها وتجمد على ما تملكه، دون أن تعمل على أن تصدق مع ذاتها وشعارها لأنها مسيرة نحو الكمال.

ثم إنه ينتج من ضعف الإرادة — مع غض النظر عما سبق — تأرجح في السلوك، ولا مبالاة مقيتة بالهدف. . وواضح أن الالتزام بالمقررات والقوانين التي يؤمن بأسسها الإنسان أمر لا يمكن الاستغناء عنه لتكوين المجتمع الصالح ودفعه، بل يكاد يمتلك الإلزام جذوراً أصيلة في النفس ذاتها

والالتزام فرع قوة الإرادة ووعيها فإذا ضعفت مال صاحبها مع كل ريح ونعق مع كل ناعق، ولم يؤمَن عليه مطلقاً أن ينقض كل الالتزامات عليه لميول معينة.

كما ينتج عن ذلك أيضاً: طغيان كبير للغرائز وتحكم كبير أهوج لها في سلوك الإنسان. وحينذاك فالفوضى وعدم التوازن في المشتهيات النفسية الجامحة.

وقديماً قال أمير المؤمنين(ع):

«إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى، وطول الأمل».

ومن هنا يمكن أن نفهم التأكيد الشديد على تمييع الشباب وتحطيم إرادته، ودفعه نحو اللامبالاة واتباع الغرائز الشهوانية دون أي تقيُّد بأيِّ رادع أو وازع روحي، وذلك بشتى الأساليب المثيرة للغرائز والمحطمة للشخصيَّة من سينما وتلفزيون وصحف خلاعية وغيرها مما تعجُّ بها بلادنا الإسلامية، لا بل يعجُّ بها العالم كله نتيجة اليد الصهيونية أو الرأسمالية الجشعة.

ولعل أهم ناتج لذلك الضعف الإرادي هو الضعف العقلي والتفكيري الذي ينجرُّ إليه المرء، ذلك أن العقل يعمل ويعمل متى ما يجد أن نتائجه تنعكس في إرادة الإنسان وسلوكه، فهو يعبِّر عن نفسه من خلال تلك الإرادة والسلوك الذي يتبعانه، أما إذا لم يجد أذناً صاغية وهمَّة عالية هادفة فإنه يعيش حالة خمول وكسل، وهي خسارة وما بعدها خسارة.

والواقع: أن كل ما ذكرناه من تزلزل الشخصية، وفقدان القدرة على التغيير، والتأرجح في السلوك واللامبالاة، وطغيان الشهوات، والخمود العقلي . .هي أمراض فرديَّة واجتماعية، فإذا ابتلي بها المجتمع فقد وجوده الحضاري الموجه المتعالي، وإن ظلَّ مثلاً يحتفظ بشيء من وجوده التكنيكي المتقدم. . وفي مثل هذا المجتمع اللاملتزم يصعب أن ينمو فرد بشكل طبيعي ليرجعه إلى حالته العقلية المبدعة.

علاج الإسلام لهذه الحالة:

وتختلف أساليب العلاج الإسلامي لهذه الحالة، إلاّ أنها تتفق جميعها على تنمية الجانبين المترابطين معاً: (التعقل والإرادة) –كما أشرنا إليه– ويمكن أن نذكر منها ما يلي:

١. التوصيات المباشرة لتنمية الإرادة والعقل:

أما التوصيات المباشرة لتنمية العقل فنجدها في كثير من الروايات التي تمجّد العقل وتجعله نبيَّ الباطن، وتجعله أساس الخير، وبه عُرِفَ الله، وبه يُعبَدُ، وكذلك الآيات الداعية للتفكر في خلق السموات والنعم الإلهية، والتدبُّر في الحكمة . وهي إذ تمجّد العقل والتعقُّل والتفكّر، وتؤكد على أن الإنسان إنما هو بعقله، لتلتفتُ إلى حالة الإفراط التي تصيب الإنسان في تعقله، فتذكّره بأن عقله وإن كان مطلقاً في عمله إلا أنه محدود، ولا يمكنه أن يدرك كل الحقائق، بل عليه أن يستمد من الوحي الكثير من المعلومات، وتعلمه: «أنَّ دين الله لا يصاب بالعقول» . (الإمام الصادق–ع–) إذ إن الملاكات والمصالح بيد الله، وتؤكد له على عنصر التعبُّد كما مرَّ.

وهكذا نجد التأكيد الكبير على أن يمتلك الإنسان إرادته أمام الشهوات وأنَّ الشجاعة الحقيقية هي امتلاك السيطرة على النفس، وعدم اتباع هواها، وامتلاك زمام المبادرة في اختيار الطريق .ومن هذا القبيل نصوص المحاسبة التي تحرّك الإنسان ليقوم بإرادته بمحاسبة نفسه كما في الحديث: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا» .

ويصف الإمام علي (ع) السالك الطريق إلى الله سبحانه، فيقول : «قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دقَّ جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثيرُ البر ق فأبانَ له ا لطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة، ودار الإقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة، بما استعمل قلبَه، وأرضى ربه» [1] .

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح، ص ٣٣٧ .

ومن قصص القرآن يمكن أن نختار قصة طالوت والجنود:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦-٢٥١].

وكذلك قصة الجرحى الذين تحرك بهم النبي ﷺ للاحقة المشركين بعد معركة أحد . وفي مقابلها قصة ضعف آدم، ويونس على نبينا وآله وعليهما السلام.

٢- التحسيس بالهدف والواجب والموقع وأمثالها:

وهو أسلوب مهمٌّ جداً، فكم نرى من أناس يعيشون حالةً مؤسفة إذا ذُكّروا بها وبعواقبها، وعرض عليهم حالهم بوجوهه المقيتة انتفضوا وتحركوا وغيَّروا وضعهم . . والإسلام إذ يواجه حالة ضعف الإرادة يقوم بعملية التذكير بالموقع السامي الذي يمتلكه الإنسان من الكون كخليفة لله في الأرض، وكمجعول من قبل أكبر الحقائق الكونية لإعمار الأرض، وكموجود سُخّرت له المخلوقات وفُضّل بما يمتاز به على جميعها فضِّل بالعقل والإرادة المنفذة لنتائج التعقُّل، وبهذا كان كريماً يباهي الله به الملائكة إذا سلك الصراط السويَّ كما ينصبُّ التحسيس الإسلامي على الفرق بين الحياتين: حياة الاستسلام للشهوة، وحياة السيطرة عليها .والحياة الأولى لا معنى لها في المنطق الصحيح، وهكذا . . وإذا شعر الإنسان بهذه الأمور ترفَّع -بلا ريب- عن المستوى المنحط، وعلت همته ونفسه:

«وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام».

٣- تربية الإرادة الواعية عبر الصوم والحج والمستحبات

وإذا رجعنا إلى بعض النظم - وخصوصاً نظام العبادات -وجدنا فيه أروع تربية للإرادة الواعية.

ففي الصوم - مثلاً - نجد أن التركيز كله ينصبُّ على تربية إرادة الإنسان الواعية، أو كما يعبَّر عنه في الروايات بالصبر ، وليس هو إلا امتلاك الإرادة القويَّة في ظل أوامر الله ونواهيه . وهذا ما ورد في روايات عديدة.

عن رسول الله ﷺ: «الصبر ثلاثة صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر على المعصية» [1].

(١) أصول الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٩١.

وهكذا الصوم صبرٌ على عدم القرب إلى أمسِّ الأشياء به (الطعام والجنس) وذلك قربة إلى الله تعالى وإخلاصاً له.

وهكذا نجد الأمر في الحج، حيث يحرم على الحاج المحرم بعض المحرمات التي تمس حياته اليومية تقريباً، فيطلب منه أن يكون دقيقاً في التنفيذ، وفي جوٍّ من قصد القربة . . وهو بذلك يري إرادته القويَّة للقيام بحق العبودية لله، واجتناب الطاغوت، والصراع ضدَّ مظاهره المتنوعة، وذلك باعتبار أن الحج يستهدف تحقيق هدف الأنبياء جميعاً، وما بعثوا إلا لهذين الهدفين.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ويمكن هنا أن نضيف إليهما بعض المستحبات، التي تحدَّثنا عن تأثيراتها الكبرى في إيجاد العزيمة الذاتية عند المسلم.

هذا بالإضافة إلى التلقينات النافذة التي تلقيها الصلوات في نفس المسلم، وهكذا الأدعية المختلفة من مثل: «واستعملني بطاعتك...».

٤- تقديم النماذج العملية المتمثلة في القادة:

وليس بغريب على الإسلام أن يقدم هذه النماذج الحسية العالية بعد أن اعتمد هذه الطريقة في مختلف الشؤون. فالمسلم إذ ينشدُّ فكرياً وعاطفياً إلى المثل الأعلى، ويشاهد بأمِّ عينه تضحيات النبي ﷺ الجسيمة وصموده وبسالته الواعية في سبيل الحق بحيث لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره ما ولّى عن الدعوة إلى الله ومواقف الأبطال المسلمين في صدر الإسلام، ومنها مواقف الإمام الحسن بن علي(ع) أو الحسين(ع) في معركته الخالدة النتائج وغيرهم.

إن استعراض مواقف هؤلاء القادة ليملأ النفس وعياً وثباتاً على الحق.

ويقرب من هذا حكاية القرآن العظيم لقصص الثبات على الحق للأنبياء والمؤمنين في سبيل

الحق . . فإن المسلم إذ يقرأ الآيات التالية تتجلّى في ضميره الحقيقة المربية للإرادة:

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٠-٢٥].

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢].

﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

بمثل هذه الأساليب وغيرها عالج الإسلام هذه الحالة الإرادية المرَضية.

الحالة الثانية: طغيان الإرادة

وهي حالة طغيان الإرادة حتى على التعقل أو قوتها مع ضعف التعقل، وهي حالة مرَضية لا إنسانية يرفضها الإسلام أيضاً، فإنها تنتج الحدة في كل المواقف وذلك أمر ينافي الحكمة كما يؤدي إلى عدم الوئام، وتبتلي الإنسان بمرض العناد المعبر عن إرادة عمياء . . ومن نتائجها الثقة المفرطة بالنفس، وهي من مهالك الإنسان ومزالقه، لأنها تتنافى مع التوكل الذي يريد الإسلام أن يشعر الإنسان به دائماً وأن القوّة والعزّة من الله دائماً . وإذا استحكمت هذه الحالة جرّت إلى التكبُّر، وهو من أشد الأمراض النفسية، والقرآن يؤكد أن سر العصيان الأول وبالتالي كثير من المعاصي الأخرى إنّما هو التكبُّر الذي ابتلي به إبليس ففسق عن أمر ربه.

علاج الإسلام:

وبملاحظة علاج الإسلام للحالة السابقة نعرف موقفه من هذه الحالة، إذ إن نفس تربية الإرادة ضمن الوعي، أو نفس تربية التعقل والالتزام، له تأثيره الكبير هنا، يضيف الإسلام هنا، أن يذكر الإنسان بضعفه وواقعه، وكيف أنه لا يقوى على شيء مما تمده العناية الإلهية، ويذكّره بأصله الذي لا يكاد يذكر لولا مدد الله:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ [الروم: ٥٤].

﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗا﴾ [الأنفال: ٦٦].

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ [النحل:٤].

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧-٢٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٨].

ويقول أمير المؤمنين(ع):

«أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشغف الأستار، نطفة دهاقاً، وعلقةً محاقاً، وجنيناً وراضعاً، ووليداً ويافعاً، ثم منحه قلباً حافظاً، ولساناً لافظاً، وبصراً لاحظاً، ليفهم معتبراً، ويقصر مزدجراً؛ حتى إذا قام اعتداله، واستوى مثاله، نفر مستكبراً، وخبط سادراً، ماتحاً في غرب هواه، كادحاً سعياً لدنياه، في لذّات طربه، وبدوات أربه، ثم لا يحتسب رزيّة، ولا

يخشع تقيَّة، فمات في فتنته غريراً، وعاش في هفوته يسيراً»[1].

ومن الأمثلة الرائعة التي يضربها القرآن على ضعف الإنسان مهما بلغ من القوة والوسائل المقوية، قصة سليمان بن داود)النبي المؤمن صاحب القوة والسلطان الذي لا تتصور البشرية فعلا له مثيلاً، بحيث سخر له الريح والطير والجن بحيث يمكن لأحدهم أن يحمل عرش ملكة سبأ في أقل من طرفة عين.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ:١٣-١٤].

وهذه القصة يذكرها القرآن في سياق عجز الإنسان أمام القدرة الإلهية، حيث يقول قبلها بقليل: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ: ٩].

وللإمام أمير المؤمنين(ع) تذكير رائع بضعف الإنسان وعدم خلوده إذ يقول(ع):

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياشَ، وأسبغ عليكم المعاش.. فلو أن أحداً يجد إلى البقاء سلَّماً أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داوود (ع) الذي سخر له ملك الجن والإنس، مع النبوَّة وعظيم الزلفة، فلما استوفى طعمته، واستكمل مدَّته، رمته قسيُّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية، والمساكن معطَّلةً، وورثها قوم آخرون...»[2].

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح، ص ١١٢ – ١١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٢ – ٢٦٣.

وما أكثر القصص التي تتحدث عن من طغى وتجبَّر، فقصمه الله سبحانه وتعالى.

وإذا تذكَّر الإنسان ضعفه ووظيفته عاد إلى صوابه.

وبعد هذا. تأتي الروايات الكثيرة التي تذمُّ التكبُّر والعناد الصَّلف والعجب. كما مضى شيء من ذلك عند البحث عن التسليم، ونحن نذكر هنا بعض ما ورد هذا:

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وعن الإمام الباقر(ع):

«الكبر رداء الله، والمتكبّر ينازع الله في ردائه»[1]

والرواية التالية توضح النقص الكبير، وإن ظنه المتكبر كمالاً.

يقول الإمام الصادق(ع):

«ما من أحد يتيه إلا من ذلة يجدها في نفسه»[2].

وقد حَلَّل علماء الأخلاق (رحمهم الله) هذه الصفة وأبرزوا جوانبها ومختلف علاجات الإسلام لها، فلتراجع بحوثهم، وكمثال قرآني على الإرادة المعاندة نلاحظ ابن نوح وأولئك الذين كانوا يقولون:

﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ٢ – ٣].

ومن جوانب علاج هذه الحالة تنمية روح التوكل عند الإنسان والتذكير بإرادة الله الحاكمة على كل شيء، وأن النصر من عند الله:

(١) الأخلاق، شبر، ص ١٧٠، منشورات بصيرتي.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧١.

﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣].

ومن الرائع أن نلاحظ أن كل تربية على الإقدام والشجاعة والإرادة تقريباً، تقرن بما يعطي الاستمداد من الله، وإن الله هو الممدُّ لكل شيء:

﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧].

وقد أوصى أمير المؤمنين(ع) ابنه محمداً بوصايا حربية وختمها بذلك إذ قال:

«تزول الجبالُ ولا تزل، عضَّ على ناجذك، أعرِ الله جمجمتك، وتد في الأرض قدمك، ارم ببصرك أقصى القوم وغُضَّ بصرك. واعلم أن النصر من عند الله سبحانه».

هذا وكل ما ذكرناه كان بعض العلاج الإيجابي لهاتين الحالتين المرضيتين، أما علاج التخويف بعذاب الدنيا وفوقه عذاب الآخرة فهو صاحب الدور الرئيسي في ردع المفرط وتقديم المتأخر المتكاسل.

الحالة الثالثة: حالة الإرادة الواعية

وهي الحالة التي تنسجم مع الواقع الإنساني بشهادة الوجدان، والتي يقبلها الإسلام، محققاً توازناً في الإشباع، وانسجاماً بين الطاقات والهدف، ومعطياً مجالها العلمي الصحيح.

وفي الختام:

ندعو كل المسؤولين التربويين لاستحضار النظرة الإسلامية للإنسان، والأساليب التي اتبعها لتحقيق التوازن في شخصيته، وتفجير طاقاته وضمان قدرته على تحقيق الهدف من خلقته ليحقق الفرد الكامل العابد والمجتمع الكامل المنشود.

وبدون هذا الاستحضار فإننا نعتقد أن عملية التربية ستفشل في تحقيق الهدف المطلوب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤].